وفي الختام نتمنّى ان يعود اهل بلادنا فينعشوا في قلوبهم العبادة نحو اولياء الله الذين زيّنوا الكنيسة بفضائلهم فعسانا ان نمشي على آثارهم كي ننال بشفاعتهم ما نالوا من الثواب الجزيل نفعنا الله بصلواتهم

من رياق الى حماة

رحلة حديثة للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة لما سبق)

ومما اطّلعنا عليه في حمص من المخطوطات النصرانيّة ثلاثة كتب خطّها احد الملكيين في اوائل القرن الثامن عشر يحفظها اليوم حفداؤهُ كذخيرة في بيوتهم. والكتاب (الاوّل) يصونهُ الخواجا مرشد افندي سمعان يُدعى «الكافي في المعنى الشافي» وهو «مما اوردهُ البارّ الاب جراسيموس رئيس دير القديس سمعان العجائبي وذلك في تثبيت دين النصرانيّة القويمة الراي. فرغ من نسخهِ في ٢١ تشرين الثاني سنة ٧٢٠٩ لآدم الموافق لعشرين جمادى الثاني من السنة ١١١٢ الهجريّة (١٧٠٠ م) على يد يوسف بن عبد الله بن يوسف الملقب بالشدياق من قرية كفر حلدا من ناحية البترون من اعمال طرابلس الشام القاطن يومئذٍ بمدينة حمص» وصفحات الكتاب ١٩٤ وفي آخرهِ «كيكلوس في معرفة الاشهر الروميّة والعربيّة وفي الاعياد المنتقلة في ثمانية عشر بابًا». والكتاب الثاني نسخهُ يوسف بن عبد الله الشدياق المذكور سنة ٧٢١٨ لآدم (١٧٠٩ م) وهو يحتوي زبور داود ويسان في بيت المعلّم الفاضل نيقولا افندي اسكندر من وجوه كاثوليك حمص. والكتاب (الثالث) لدى احد انسبائهِ من بيت نسيم وهو كتاب في القواعد الشمسيّة نسخهُ يوسف بن عبد الله المذكور ولم يذكر مؤلّفهُ. في اوّلهِ مقدّمة مفيدة لتاريخ النصرانيّة في بلادنا نوردها بالحرف:

«نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ بنساخة القواعد الشمسيّة وحساب الكيكلوس القمري لاجل عيد الفصح المجيد وسبب ذلك انهُ في سنة سبعة آلاف وسبعة واربعين (١٥٣٨ م) وقع الخلاف بين جماعة الملكيّة وجماعة الطوائف الاراطقة بسبب عيد الفصح المجيد لانّ جماعة الملكيّة المستقيمين الامانة عيّدوا في ستّة ايّام من نيسان وظهر لهم الحقّ العظيم. واما جماعة طوائف الاراطقة فانهُ كان على كنيسة القدس امين اسمهُ النقّاش وان جماعة الاراطقة برطلوه بالف دينار فاشتل للطوائف من القنديل. وكاتبُ الاحرف لمّا اجتمع في قارا بسبب العيد وكان سبب الجمع

الاب السيّد البطريرك ميخائيل الانطاكي (١) والاسقف يوحنا اسقف بعرود واسقف صيدنايا ومطران بعلبكّ واسقف الزبداني ومن جميع البلاد خوارنة وقسوس وشمامسة من جميع الورية الانطاكية اجتمعوا الى عند الاب السيّد البطريرك وما عرفوا ايش يعملوا من الحدود الذي من العماد الى رفع اللحم وانّ المذكورين لمّا اشتبه عليهم الحساب سبب زود الدقائق الزائدة فارسلوا الى الشماس ابراهيم ابن الطنط في بيروت يخبروا منهُ فارسل يقول لهم: « وانا اختلف الحساب عليّ » وان الشيخ سليمان ابن المكيكة ارسل ورا التلميذ واحضرني الى عندهم و برهنتُ لهم حساب الدقائق وزودها وجمعتُ لهم الزود الى سنة سبعة عشر وستة ثمانية عشر وستة عشر تكون تجمل ايام الخليقة سبعة حتّى صحّ لهم الحساب لانهم لم يكونوا في زمان الاوّل يؤرخوا لنا سنة الغلطة (٢ فلما كان صار بين الطوائف خلف. وانّ التلميذ حسبتُ لهم ان يرفعوا في ستة ايام من شباط فرفعوا جماعة الملكيّة في ٩ ايام من شباط وظهر لهم الحقّ والعيد في ٦ ايام من نيسان واما بقيّة الطوائف فاكارا لهم جمعة النقيّة اوّل جمعة الصوم وصاموا جمعة الفصح الجيد. ولاجل ذلك اخذت التلميذ غيرةٌ واخرجتُ لهم من شبكة يوحنّا الدمشقي لا غير حساب من سنة سبعة الاف وسبعة واربعين الى سنة سبعة آلاف ومائتين وسبعة وثلاثين برهنتُ فيها في كم يكون فيها العيد العظيم وكم تكون القاعدة الشمسيّة وكم يكون عدّة صوم الرسل »

وهذا اوّل الحساب لترى طريقة المؤلف :

« ولمّا كانت نسخة هذه الكراسة كان حساب ابونا آدم وصل الى سنة سبعة الاف واحدى وثمانين (١٥٧٢م) كان كيكلوس القمر ١٣ والقاعدة ٣ ورفع اللحم في ٢٥ كانون الثاني وفصح الناموس في ٢١ آذار والعيد الجيد في ٢٢ آذار وعدّة صوم الرسل ٦٢ يوم — وسنة اثنين وثمانين كيكلوس القمر ١٤ والقاعدة ٤ ورفع اللحم في ١٤ شباط وفصح الناموس في ٩ نيسان والعيد في ١١ نيسان وصوم الرسل ٢٢ يوم . . . الخ »

وتاريخ نسخ الكتاب والقاب الناسخ كالكتابين السابقين

وقد أطلعنا ايضاً حضرةُ القس انطون عبد صمد على كتاب طقوس سرياني مع شروح بالعربية امّا خطّهُ فهو الخطّ المعروف بالملكيّ القريب للكلداني والسطرنجيلي وهو يحتوي على الطروباريّات والقنداقات والارموسات والصلوات القانونيّة وقوانين الآباء التي كان يصلّيها الملكيّون في شهر ايلول (٣. ولبعض هذه الصلوات السريانيّة علامات موسيقيّة كالتي وصفناها سابقاً في المشرق (٥ : ١٠٥) . والكتاب المذكور يُحفظ الآن في مكتبتنا الشرقيّة . وفي آخر فوائض شهر ايلول ما حرفهُ وبهِ يُعرَف زمان نسخ الكتاب

١) يريد البطريرك ميخائيل السادس الذي جلس على كرسي انطاكية من سنة ١٥٢٩ الى ١٥٥٣ وهو اوّل من نقل كرسيّهُ الى مدينة دمشق ٢) قال مؤلف الكتاب : سنة الغلطة تدور دورةً كلّ خمسة وتسعين (٣ وقد وصف جناب الاديب حبيب افندي زيّات كتُبًا مثل هذا في كتابه المطبوع حديثاً عن خزائن دمشق ونواحيها

وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك وهو شهر الجول نهار الاربعاء ثالث عشر من شهر آب المبارك سنة سبعة الاف واثنتين للعالم (١٦٩٣م) بيد العبد الخاطئ الذليل المسكين المحتاج الى رحمة السيد المسيح يوحنا باسم قس وراهب ابن القس ابراهيم من مدينة قارا غفر الله له ولوالديه وهو يسأل ويتضرع الى كل من يتأمل هذه الاسطر الحقيرة يسامحه بالنقص والغلط . . .

*

وفي مساء الثلاثاء ٢٣ ايلول ركبنا القطار سائرين الى حماة والمسافة بينها وبين حمص ٤٦ كيلومترًا يقطعها البخار في ساعة ونصف بنيف وليس بين المدينتين محطات مهمة اللهم الا تلبيسة تكثر فيها الغلات ومن خواص هذه القرية ان بيوتها مستديرة في اسفلها محددة الرؤوس على شبه اقراص الكرز . ثم تمر السكة في بطائح ووهاد وتعبر نهر العاصي وتسير في اراضٍ كثيرة المرافق طيبة التربة الى ان تبلغ بعد العشي محطة حماة وموقعها فوق ربوة تشرف على المدينة

وكان نزولنا في السعة والرحب في دار حضرة الخوري الفاضل الغيور الاب الياس مصري السريانيّ وجناب اخيه يوسف افندي

وفي صباح الغد تفرغنا لزيارة المدينة وآثارها . وحماة مع ما اصابها من نكبات الزمان لا تزال مدينة كبيرة من حواضر الشام يتجاوز عدد اهلها ٦٠ الفًا ولعلهُ يقرب من ٨٠٠٠٠ اكثر من ثلثيهم مسلمون والباقون روم اورثدكس وسريان يعاقبة مع قليل من الكاثوليك . وحماة مدينة نزهة رائعة الجمال حسنة الموقع مبنيّة على منعطف ضفة العاصي الشرقية بين تلّتين منتصبتين مترازيتين تعرفان بقرني حماة والبساتين تطيف بها وتحفها بمنطقة بديعة من الخضرة والاشجار ونهرها العاصي يشقها جاريًا حولها شمالًا وشرقًا وعليهِ عدة نواعير تسقي بساتينها تبلغ دائرة بعضها ستين مترًا بنيف . وعلى النهر اربعة جسورة . وقسم من البلد مبنيّ على ربوة تُعرف بالعالية او الطيّارة موقعها جنوبيّ شرقيّ المدينة . ومن احيائها تلّ القلعة شمالًا وحيّ الباشورة شماليّ شرقيّ البلدة وحارة الشيخ عنبر العبد على ضفة العاصي الشماليّة وحارة الشيخ محمّد الحوراني . اما النصارى فلهم شماليّ غربيّ المدينة ثلاث حارات الدهّان والحوش والميدان . وفي المدينة نيف واربعون جامعًا او مسجدًا اعظمها الجامع الكبير يرتقي عهد بنائهِ الى زمن الرومان . وبيوت حماة رحبة في وسطها الدار والايوان يحدق بها غرف مختلفة الكبر . وربما وُجدت في الدار بركة يجري اليها ماء نهر العاصي وتظلّلها الاشجار

وحماة بسبب نهرها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار رائجة الاسواق ولا شك انَّ السكَّة الحديديَّة تفتح لتجارتها باباً واسعاً لتنقل غلَّاتها الى سواحل الشام ومنها الى البلاد الاجنبيَّة

ومن غلَّاتها المشهورة قمحها الجيد الكثير الطلب. وفيها الذرة والشعير والسمسم وانواع الحبوب والبزور من عدس وحمص وغير ذلك. ولها المنسوجات الحريريَّة والقطنيَّة اشهرها المناشف الخاصَّة بها. وعدد انوالها يبلغ ثلاثة آلاف نول يربح منها اهل حماة نحو الف الف فرنك. وفيها الفواكه الكثيرة الطيِّبة

وليس في حماة آثار باقية تُذكر. ومما زرناهُ كنيسة الروم وهي قديمة العهد يُنزل اليها بدرج لارتفاع الارض من حولها بعد كرور الادهار وهي مبنيَّة على الطرز القديم كبيع الشرق في القرن التاسع والعاشر. وقسمٌ منها كان يصلي فيه سابقاً السريان اليعاقبة وهو اليوم محلّ النساء. وعلى احد مذابح هذه الكنيسة كتابة يونانيَّة قديمة كُتبت سنة ٩٠٧ للسلوقيين اعني ٥٩٦ — ٥٩٧ للمسيح يطلب فيها ماروا وقزما مقيما المذبح صلاة المؤمنين(١). وكذلك كتابة أخرى يونانيَّة ذهب معظمها في الدرج المقابل للكنيسة

ومن آثار حماة قلعتها وهي اليوم عبارة عن تلّ من الرمل والتراب المرصوص تتَّسع افنانهُ في اعلاه فيمتدّ البصر منهُ الى كلّ جهات المدينة حتى اقاصي الافق. وكان هذا الحصن حريزاً في سابق الزمان واعطافهُ مفروشة بالبلاط كقلعتي حمص وحلب وفوقهُ الابنية المتينة لردّ الاعداء. وكان حولهُ خنادق عميقة يبلغ ارتفاعها نحو مئة ذراع. امَّا تاريخهُ فيرتقي الى الوقت من السنين والمرجَّح انَّ اسم حماة مشتقٌّ من اسم القلعة. وحماة باللغات الساميَّة الحمى والحصن المنيع

وما لا ريب فيهِ انَّ حماة من اقدم مدن العالم تكرَّر ذكرها في كتب موسى النبي وبقيَّة اسفار العهد القديم وربَّما دُعيت هناك חמת רבה اي حماة الكبرى دلالةً على عظم شأنها ومقابلة بينها وبين حصون أخرى اصغر منها. امَّا مدخل حماة فالارجح انهُ اوَّل سهل البقاع لاتصاله بحماة

واوَّل من سكن حماة قبائل من بني كنعان ثمَّ صارت الى دول شتَّى من حثيين ومصريين واشوريين وفرس ويونان ورومان وعرب. وفي حماة اكتُشفت الحجر

(١) راجع المجلة الفلسطينية (ZDPV, VII, 124)

الكتابات الاولى الحثية المعروفة اكتشفها الرحالة بركهرت (Burckhardt) سنة ١٨١٢ ثم وجد منها في امكنة أخرى (راجع المشرق ٥ : ٧٦٠) وهذه الكتابة سرُّها مجهول حتى الآن وهي تشبه في طريقتها التصويرية الكتابة المصرية المعروفة بالهيروغليفية الّا انها ناقصة

وفي أيام اليونان دُعيت حماة « ابيفانية » باسم الملك السلوقي انطيوخس الرابع ابيفانوس (الشهير) ولمّا قُسم اقليم سورية الى سورية الاولى وسورية الثانية دخلت حماة في سورية الثانية تحت حكم افامية . ودخلت فيها النصرانية منذ القرون الاولى بعد الميلاد . واوّل اسقف ذكر لها يدعى موريقيوس ممّن شهدوا المجمع النيقوي . واشتهر في القرن الخامس اسقفها قزما الذي حرم ساويوس البطريرك الدخيل . ثم ازهرت النصرانية في جهات حماة وبُنيت الاديرة العظيمة التي لا يزال بعض آثارها موجودة حتى اليوم

وفتح العرب حماة سنة ٦٣٩ م (١٧ هجرية) على يد ابي عبيدة وحصّنوها واتخذوا لها سورًا يُرى شيء من بقاياهُ حتى الآن على انّ الزلازل توالت على حماة واخربتها مرارًا وخصوصًا في سنتي ٨٦٦ و ١١٧٠ . وممّن استولى على حماة السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي انتزعها من ايدي الفاطمية وصارت من بعده الى فرع من دولته الأيوبية التي اشتهر منها الملك المؤيد اسماعيل المعروف بابي الفداء صاحب التاريخ المشهور ومصنّف تقويم البلدان . ثم دخلت في حكم الدولة العلية في ما دخل بعد فتح السلطان سليم الغازي سنة ١٥١٧ وهي اليوم مركز لمتصرفية من ولاية سورية

وقد خرج من حماة بعض مشاهير الرجال نخصُّ منهم بالذكر ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وتقيّ الدين ابا بكر المعروف بابن حجّة الحموي مؤلف خزانة الادب وثمرات الاوراق وغير ذلك

وممّن اسعدنا الحظ ان نجتمع بهم الشيخ الفاضل محمّد افندي الحريري مفتي حماة واحد افتها المعدودين فلقينا بهِ رجلًا واسع المعارف محبًّا للآداب . وكذلك حظينا بمواجهة بعض افاضل النصارى كصاحب العزّة تامر افندي قرح احد وجوه حماة وحضرة الخوري مراد سريد وجناب الدكتور سليم الخوري والدكتور توفيق سأوم والمعلّم باسيل افندي جباره وكلهم من رجال الفضل ممّن يُستأنس برؤيتهم ويُقتبس من آدابهم

امَّا الآثار الادبية والمخطوطات فأننا لم نجد منها في حماة ما كنَّا نأمله ولعلَّ وقتنا القصير حال دون ذلك. ومما تأكدنا انَّ في كنيسة السيدة للروم الاورثدكس صندوقاً مملوءاً من التآليف الخطيَّة كان ضابط مفتاحه غائباً فلم نتمكَّن من فحص آثاره. وكذلك بلغنا انَّ بعض الفلاَّحة وجدوا قبل سنين قليلة كتباً نصرانية قديمة حجز عليها احد الخواصّ فلم يسمح لاحد بان يراها. ومما افادنا به الثقة انَّ احد شيوخ النصيريَّة في جوار حماة اكتشف على تورأة قديمة العهد مكتوبة بالخطّ الكوفي يضنّ بها ويواريها عن العيان

وكان وداعنا لحماة واهلها صباح الخميس ٢٥ تشرين الاوَّل عائدين الى حمص فبيروت شاكرين الربّ على ما اولانا في هذه الرحلة من النعم

مطبوعات شرقية جديدة

Genuinæ relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientium seu Chaldæorum Ecclesiam

cura et studio Rmi Abbatis S. Giamil, Romæ 1902, p. XLVIII - 648

المكاتبات الرسميَّة بين الكرسيّ الرسوليّ والطائفة الكلدانية

انَّ اساس تاريخ الطوائف المسيحيَّة في المشرق ولاسيَّما الكاثوليكية ما دار من المراسلات الرسمية بين الاحبار الرومانيين ورؤساء هذه الملل المختلفة لولاها لما استطاع الكتبة ان يستوفوا اخبار هذه الكنائس الشرقية. وقد شعر بذلك حضرة الاب العلاَّمة الفاضل صموئيل جميل نائب غبطة بطريرك الكلدان لدى الكرسيّ الرسوليّ فراجع محفوظات الخزانة الواتيكانية وجمع من هذه الآثار نيِّفاً ومئة وستين كتابة منها مناشير وبراءات ورسائل وصور ايمان وغير ذلك مما يستحق ان يُجعل كاصدق المصادر لتعريف احوال الكلدان الناطرة والكاثوليك منذ القرن الثالث عشر الى ايامنا. وقد نشرها كلَّها بنصها الكلدانيّ ونقلها الى اللاتينيَّة واضاف اليها تعليقات وافادات تاريخية وجغرافية تضاعف قيمتها. فنثني على واضع هذا الكتاب الخطير ونتمنَّى ان يقتفي باثره كتبة جميع الطوائف الشرقية ليزيلوا جانباً من الظلمات التي لا تزال تحجب تواريخ الامم النصرانيَّة في الشرق